

Michael Elkins, **Forged in Fury**
(New York : Balantine Books, 1971).

الكتاب الذي بين ايدينا سرد يستحود على الذهن قصة المقاومة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية ، وعن التمرد الذي واجهته ولادة هذه المقاومة في حارات اليهود في المانيا وبولنده وفي معسكرات الاعتقال النازية ، وذلك رغم كل العرائل التي كانت تبدو مستحيلة التجاوز .
في أسلوب يتسم بالوضوح والحدة ، وغالبا ما يشوبه المرارة والسخرية ، يصف لنا مايكل ايلكنز العرب في معسكرات الموت ، ويحدثنا انه بعد أن سبق ملايين اليهود « كالنماج الى المسلخ » هب بر قليل من الشبيبة اليهود العزل والذين كانت تقتصر الخبرة من « حارة كوفنو » قرب الحدود البروسية وعقدوا العزم على تنظيم « نوع من المقاومة كتعبير عن كرامتهم كبشر ... » ، ومن ثم ينقل ايلكنز ، بتفاصيل اخاذة ، الى وصف بناء المقاومة المضمي وانتشارها في الحارات المعزولة ، والى الحديث عن المشاكل التي واجهتها ليس فقط في تضليل النازيين وخداعهم ، ولكن ايضا في افتناع « الشعب اليهودي » المهدد بالفناء بالسير الى حلى ذلك النفر من اليهود الذين باتوا مقتنعين بانه ما دام جميع اليهود سيفنون حتما ، فمن الافضل لهم ان يموتوا في ساحة الكناح . وبعد ذلك ينتقل الى استعراض الانشقاق بين الزعماء اليهود الذي كانوا يؤمنون بـ « المقاومة البيضاء » التي كانت تهدف الى المحافظة على حياة اليهود ، وبين انصار « المقاومة السوداء » الذين كانوا يرمون بالمقاومة النشطة والعنيفة . ويشير الى ان انصار « المقاومة البيضاء » كانوا مرارا يسألون انصار « المقاومة السوداء » : « انكم تطلبون منا ان نضحى بانفسنا ، ولكن هل تريدوننا ان نموت جميعا لانكم تعلمون وتتمنون ان تموتوا ابطالا ؟ » ثم يسألون السؤال الذي لا جواب له : من نصبكم قادة علينا ؟ ولكن الالمان هم الذين اجابوا على هذا السؤال . ففي اليوم الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ، بعد أن ابعد الالمان موجا جديدا من الفتي يهودي الى بونار ، بعث تادة « المقاومة السوداء » بنشرة الى شبسباب وشبابات « المقاومة البيضاء » أدت الى حدوث انشقاق في صفوفهم بشكل ، مال معه الميزان

لصالح المقاومة المسلحة . فقد كانت تلك النشرة تهدف الى تبديد الوهم لدى اولئك اليهود الذين كانوا لا يزالون متشبهين بالاعتقاد ، او الامل ، او خداع النفس ، بأن ما يسميه الالمان معسكرات « الاستيطان » و « العمل » ليست في الواقع الا معسكرات للبوته ، وتقول النشرة : « ايها الشباب اليهود ، لا تصدقوا اولئك الذين يحاولون خداعكم ... فجميع طرق الجستابو تؤدي الى بونار ، وبونار تعني الموت . وجميع الذين يتم اخراجهم من الحارات لن يعودوا اليها ابدا ... »
ولقد كان هذا الانشقاق في الحركة بداية المقاومة المسلحة في حارة فيلنا وبداية « سلسلة متصاعدة لا تنتهي من اعمال الانتقام . » ويشير مايكل ايلكنز الى أن « البندقية » هي من اولى متطلبات المقاومة المسلحة ، ولكن كيف يمكن ان يتسنى ليهود الحارات الحصول عليها ؟ نعم ، لقد تمكنوا من ذلك ، باختلاف المسبل الشريفة وغير الشريفة ، فقد كانوا يسرقون ليشتروا ، ويسرقون الاموال والجواهر من ابايهم وامهاتهم ، ولما تنفذ النقود يسرقون كل ما تقع ايديهم عليه ، كما كانوا يسرقون من المصانع الالمانية التي كانت تسترق اليهود ، كل ما كانوا يتمكنون من اخراجه من المصنع الى السوق السوداء ليستبدلوه بالبنادق . أما بالنسبة لتهريب هذه البنادق الى الحارات فقد كانت البنات احيانا يخفين البنادق بين سيقانهم وهن في طريقتهن الى خارج المصنع . وبالنسبة للتدريب ، كانت لديهم الاسلحة ولكن كانت تقتصر معرفة استخدامها ، لذلك كانوا يعمدون الى انتزاع بعض الصفحات من الكتب التي تتحدث عن استخدام المسدس والبندقية . وكانوا ينسخون هذه الصفحات ويوزعونها على الوحدات القتالة . كما كانوا يدرسون الكيمياء مما ساعدهم على صنع قنابل بيتية ، وكذلك صنعوا الغابا استخدموها في تفجير العربات المارة ، وصنعوا « قنبلة الجيتو » وهي عبارة عن علبه من التلك مملوءة بالبراغي وملفوفة باحكام حول مادة متفجرة متصلة بصاعق ليفرقها . هكذا ، وبهذه « الخردة » انطلق يهود الحارات في مقاومتهم للجيش الالمانى . فقد كانوا ينصبون له الكماش ، وينسجون خطوط سكة الحديد